

الحج

الحجُّ جهادٌ في سبيل الله، ينفق فيه المال، ويُتعبُ فيه البدنَ، وتترك من أجله الأولاد والبلاد إجابة لداعي الله وتلبيةً لندائه على لسان خليله، إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال الله له: **(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ أَتْيُهُمْ وَيُطِئُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)** [الحج: ٢٧-٢٩].

عباد الله: ونحن الآن في أشهر الحج التي جعلها الله ميقاتاً للإحرام به والتلبس بنسكه، قال الله تعالى: **(الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ)**، [البقرة: ١٩٧]. يخبرُ تعالى أنَّ الحجَّ يقعُ في أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة، وقال تعالى: **(معلومات)**؛ لأنَّ النَّاسَ يعرفونها من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فالحجُّ وقتُه معروفٌ لا يحتاج إلى بيان كما احتاج الصيام والصلاة إلى بيان مواعيتهما. وقوله تعالى: **(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ)**، معناه: مَنْ أحرَمَ بالحجِّ في هذه الأشهر سواءً في أولها أو في وسطها أو في آخرها، فإنَّ الحج الذي يحرمُ به يصير فرضاً عليه، يجب عليه أدأؤه بفعل مناسكه ولو كان نفلًا، فإنَّ الإحرام به يصيره فرضاً عليه لا يجوز عليه رفضه. وفي قوله تعالى: **(فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)** معناه: بيانٌ لأداب المحرم وما يجبُ عليه أن يجتنبه حال الإحرام، أي: يجبُ أن تعظموا الإحرام بالحج وتصونوه عن كل ما يُفسده أو ينقصه من (الرفث): وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقومية.

الفسوق: وهو جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

الجدال: وهو المحاورات والمنازعة والمخاصمة، لأنَّ الجدال يثيرُ الشرَّ ويوقع العداوة ويُسْغَلُ عن ذكر الله. والمقصودُ من الحج الذلُّ والانكسارُ بين يدي الله وعند بيته العتيق ومشاعره المقدسة، والتقربُ إلى الله بالطاعات وترك المعاصي والمحرمات ليكون الحجُّ مبروراً.

فقد صحَّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: **"الحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة"**. ولما كان التقربُ إلى الله تعالى لا يتحقق إلا بترك المعاصي وفعل الطاعات فإنه سبحانه بعد أن نهى عن المعاصي في الحج أمرَ بعمل الطاعات، فقال تعالى: **(وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ)**. وهذا يتضمن الحثَّ على أفعال الخير خصوصاً في أيام الحج، وفي تلك البقاع الشريفة والمشاعر

المقدسة، وفي المسجد الحرام، فإن الحسنات تُضاعفُ فيها أكثر من غيرها كما ثبتَ أنَّ الصلاة الواحدة في المسجد الحرام أفضلُ من مئة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، لا سيَّما وقد اجتمع للحاج في هذا المكان وهذا الوقت شرفُ الزمان وشرفُ المكان.

ومن الجدل الذي نهى الله عنه في الحجِّ ما كان يجري بين القبائل في الجاهلية في موسم الحج وفي أرض الحرم من التنازُع والتفاخُر ومدح آبائهم وقبائلهم حتى حولوا الحجَّ من عبادة إلى نزاع وخصام، ومن تحصيل فضائل إلى تحصيل جرائم وآثام، وقد وُجدَ في زماننا هذا مَنْ يريد أن يُحيي هذه السنَّة الجاهلية، والنخوة الشيطانية. فيحوِّل الحجَّ إلى هتافات ومظاهرات وشعارات، ورفع صُورٍ ووثنيات، وصخبٍ ولجاجٍ وإيذاءٍ وترويعٍ للحجاج. وعدم مراعاة لحرمة الحرم والإحرام، وحرمة تلك الأيام. حيثُ يقول سبحانه: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)، وقال تعالى عن الحرم: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [الحج ٢٥].